أسبوعية - مستقلة - شاملة الاثنين ١ ايار ٢٠٠٦ العدد رقم : ١٧٠٤ تصدر عن المركز الاردني للدراسات و المعلومات - تأسست سنة ١٩٧٢

الصفحة الرئيسة
مجتمع مدني
شؤون سياسية
أدب...ثقافة...فن
الأسرة
مقالات
عالم الاسلام
دراسات
فكر
المنبر الحر
حوارات
منطقة حرة
في رحاب الله
جامعات
حصاد الاربعاء
شؤون محلية
كاركتير
الأرشيف
الصفحات الكاملة
بانوراما
نبذه عن اللواء
المركز الاردني للمعلومات

دراسات /

رجـال فـي ذاكـرة الوطـن : شفيق ارشيدات

شفيق ارشيدات عاش مدافعا عن شرف الأمة وداعيا لوحدتها

شفيق ارشيدات ووصفي التل اعتقلا بتهمة التحريض على الثورة

ابراهيم التل حمى شفيق ارشيدات عندما لم يذكر اسمه معه بعد نسف خط انابيب البترول

بقلم: محمود سعد عبيدات

عندما يدون تاريخ الوطن، نتذكر الرجال الذين صنعوا التاريخ للوطن وكانوا القدوة والمثل، رسخوا في الذاكرة الشعبية شرف الإنتماء للوطن، وعززوا في الوجدان اهمية الشخصية الاردنية في بعدها القومي والعربي والإسلامي والانساني مثلوا تيارات سياسية وفكرية وقانونية متنوعة في الفكر العربي وعايشت هذه النخبة - من أمثال شفيق ارشيدات وجيله - الاوضاع التي مرت بها الامة واستشعرت إشكالات الواقع وتحدياته وطرحت رؤى وتصورات للتعامل معها نبعت من تكوينهم الثقافي وصبغت بتوجهات ايديولوجية وعقائدية حملها هؤلاء المناضلون، رغم وجود التناقض الأيديولوجي والعقائدي فيما بينهم والاختلاف في تشخيص العلل ووضع البدائل، الا ان الحوار بين المتناقضات يعتبر من اهم الاسس في خلق حوار فكري بناء، يفسح المجال للعقل الناقد ان يتعامل مع هذه التجربة ويستخلص العبر منها ..

ان الواقع الحالي وآفاق المستقبل يجب ان تبقى ماثلة في الأذهان عند التعامل مع هذا الإرث الذي ورثناه من المناضل شفيق ارشيدات وجيله، والذي واياهم تأثروا بإرث يمتد في جذور الحضارة العربية وإرث لم يخشى ان يتفاعل مع حضارات وثقافات اخرى عالمية أغنته وأغناها دون تصنيم هذا الإرث، وانما التعامل معه كجزء من حاضرنا وتوجهاتنا المستقبلية.

ان هؤلاء المناضلين - شفيق واقرانه - تعاملوا مع أهم الإشكالات والموضوعات التي عايشها الوطن العربي بشكل عام، والقطر الاردني بشكل خاص، أصابوا حينا والتاريخ يشهد - وأخطأوا حينا - عن حسن نية والتاريخ يغفر - نكتبهم ونقرأ سيرهم ليس فقط لتمجيدهم بشكل سطحي والتغني بوجودهم في فضاء هذا الإرث وانما لاستيعاب تجاربهم وهواجسهم وابداعاتهم وانجازاتهم على المستوى الوطني وعلى المستوى القومي، والاستفادة منها في خلق حالة من الوعي السياسي، وخلق حالة فكرية بعيدة عن الخوف والقمع الفكري والسياسي.

عاش شفيق ارشيدات مراحل صعبة لكنه واجهها بعناد. عايش فترة الاستعمار الاجنبي والانتدابات الأوروبية التي نهبت الخيرات وحاولت تطويع الشخصية والعقل على المستوى الفكري والثقافي، والسياسي وما صاحبه من محاولات التفتيت وخلق كيانات عرقية وقبلية وقطرية مزقت المنطقة وخانت عهودها وتعهداتها لصاحب النهوض الوحدوي الشريف الحسين بن علي او ما رافق ذلك من مواجهة وتحد تعمد بالدم من اجل التخلص من الاستعمار ومقدماته ونتائجه.

POWERED BY Internet Business Solutions

وعاصر ايضا مرحلة التحرر من الاستعمار وقيام الدولة الحديثة وما رافقها من انجازات واخفاقات يجب تقييمها والاستفادة منها والتعامل معها للوصول الى العوامل الداخلية والخارجية التي أدت الى اخفاق القوى السياسية والانظمة العربية في انجاز مهامها الوطنية والقومية والانزلاق الى هذا الوضع من التراجع العربي ..

وكان شفيق ارشيدات شاهدا على الواقع بكل وعيه، حقيقية واقعية، تأسيس دولة إسرائيل وإكسائها الشرعية الدولية، من خلال هيئة الأمم المتحدة، ويشهد الصراع العربي او مده الثوري، في كافة تجلياته، وتكون النكسة بعد النكبة، ويكون التداعي، ويكون ان لا بد من محاكاة الواقع بمر مذاقه، وينبري قلمه الذي كان لدراسته القانونية والمعين له، ويحمل هم أمته جاعلا من مهنة المحاماة سبيلا للدفاع عن أمة ووطن، في أروقة المحافل الدولية، غير هياب، لا يعرف للهدأة موطئا، وأنى لمن يكون جرح أمته وجعه، أن يهدأ وتتوالى دفاعاته ودفوعه أمام هذا العدوان والاعداء في كفتين غير متوازيتين، كفة المنهج المحكم لخلق الوطن اليهودي، وكفة العرب التي لم تكن بمستوى رصد الخطر، وصده بالمنهج ذاته.

ينبري شفيق ارشيدات مدافعا عن شرف الأمة ويدعو الى وحدتها، ويخاطب كل القوى السياسية في الوطن العربي معلنا صرخته لا خير في أمة لا خير في أمة لا توحد خطاباتها في خطاب واحد ولا تقتدي برسولها الذي قال نحن أمة أعزنا الله بالاسلام، ولا خير في امة لا تحافظ على القرار الألهي بقوله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس».

ونعم الرج أنت يا أبا صالح، لأنك ومضة من ومضات هذه الأمة وأساسه مكين من بناءات هذا الوطن، ووجدان أبنائه في سبيل قضايا أمته، مثلت جل مجامع رؤى التلاحم والانتصار، ولم ترد بك المهلكات. كنت دائما عصيا على الانحناء، أبيا شامخا كجبال عجلون وتل اربد ينبوعا صافيا، وكذا لا ينضب، جرئيا في خطابك، وأنت الذي قلت للزعيم الراحل جمال عبد الناصر «أمة سجونها ومعتقلاتها أكثر من معاهدها ومدارسها، ستبقى أمة مقهورة والحاكم الذي يدشن مدرسة في الصباح سيغلق سجنا في المساء، واذا اردنا نهوضا قوميا شاملا، فالحرية من اولويات هذا النهوض، فالشعب الحر هو الذي ينجب جيلا سيوفهم لا تغمد، ورماحهم لا تنكسر. والحق يقال: كان شفيق من الرجال الذين خطوا على صفحة التاريخ الأردني مآثر غدت قبسات ضياء تهدي السارين الى شعاب الحق ومعارج المجد تدق ثرى أردننا الحبيب.

نسبه وعائلته:

يذكر الدكتور أحمد عويدي العبادي في كتابه (مقدمة لدراسة العشائر الاردنية) صفحة (٥٧٤) ان عشائر بني جهمة وبني عبيد والسرو فقط هي (١١٢) عائلة، واذا عرفنا بأن عدد سكان هذه النواحي من أبناء هذه العشائر لا يتجاوز الربع مليون نسمة، وان عدد افرادها يتراوح على مستوى العشيرة الواحدة اليوم بين (٥٠٠) والف فقط فانه يمكننا ان نفترض ان هذه العشائر اما بعضها كان غير موجود في بداية القرن الماضي، او انها لم تكن تتجاوزالأسرة الواحدة المكونة من زوج وزوجته وأولادهما.

سعادة السفير فالح الطويل، يفسر هذه الظاهرة بقوله: ربما يكمن التفسير لهذه الظاهرة ان منطقة الشمال الاردني وفي الواقع المملكة الاردنية الهاشمية ككل هي الصلة الجغرافية بين كل من شبه الجزيرة العربية وكل من شمال افريقيا من جهة وشمال بلاد الشام من جهة آخرى، ولذلك كان الاردن ممرا لكل القبائل المهاجرة بين هذه الاطراف، وكانت منطقة الشمال الاردني بالاضافة الى ذلك نطقة جذب سكاني، فقد خلفت القبائل المهاجرة بعضا من افرادها.

والقصد من ذلك ان عشائر الشمال هي بقايا قبائل او عشائر أكد عبرت المنطقة فتركتهم وراءها لأسباب مختلفة، ومن بين هذه العشائر الشمالية عشيرة (رشيد) التي اصبحت فيما بعد (الرشيدات)، بدليل ان عشيرة (ارشيدات) في اربد، هي واحدة من فروع القبيلة الأصل ولها عدة فروع في الشمال الاردني وفي جنوب سورية، ولعل البوتقة الأردنية التي كان عليهم ان يعيشوا من خلالها وبها استطاعت مع الزمن ان تصهرهم الى شخصية أردنية انمحت فيها الخطوط الفاصلة بين الأصول التي جاءوا منها، ومن الأمثلة على تكون هذا المجتمع (الأربد - الشمالي) عائلته (التل)، وهي بالأصل من قبيلة عربية حجازية تعرف بـ (الزيادنة) أسسها في بلاد الشام الأمير (عمر الزيداني) ومن بعده (ظاهر العمر الزيداني) الأكثر شهرة في بلاد الشام، فيعود أصل وجودها في (اربد) لأسباب سياسية وادارية، حيث حكمت هذه القبيلة (الزيادنة) الشمال الفلسطيني، وعجلون، ومن ثم اربد وحوارها. فجاء تواجد عشيرة (رشيدات) متقاربا مع ست عشائر اخرى، هي الشرائح العشائرية التي كونت المجتمع الاربدي، يقول في ذلك اللواء علي خلقي الشرايري في مذكراته: « ولم يسكن هذه القرية (اربد) سوى عشيرتنا، وتلاها عشيرة من طفس (سورية)، ثم تكنى بالجلاقمة ثم فيما بعد (دلاقمة) اي (الدلقموني) وتوالت عشيرة (عبندي) من الكورة ثم عشيرة الرشيد، فيما بعد الرشيدات، فيما بعد عشيرة (التلي) وقطنوا في البارحة، ثم عشيرة الخريسات، وعشيرة حجازي، وعشيرة (حتمل) الحتاملة، ثم توافدت عائلات صغيرة من حوران وفلسطين بقصد العمل كمرابعين لهذه العشائر ...).

ويعد الشيخ (رشيد بن ناصر بن محمد) المؤسس الأول لعشيرة (إرشيدات) في مدينة اربد، أما (غريب) شقيق الشيخ محمد جد (رشيد) فهو المؤسس لعشيرة (الغرايبة) في قريتي (حوارة) و (المغير).

أما العشائر القريبة للعشيرة ارشيدات، فهي التي تنحدر من الأخوين الشيخ غريب والشيخ حمد، وتتألف من الفروع التالية:

١ - الغرايبة: ونسبوا الى (غريب) وقطنوا في قريتي حوارة والمغير.

٢ - العودات: ونسبوا الى عودة بن يوسف بن محمد وقطنوا في المغير، وبعضهم هاجر الى حوران وسكنوا مدينة درعا، ويعرفون بـ (العودات) وهم اقرب الى ارشيدات من الغرايبة.

٣ - الكناعنة: وينسبون الى كنعان بن منصور بن محمد ويقطنون في كفر جايز.

٤ - القبلان: وينسبون الى قبلان منصور بن محمد واستقروا بجوار اقربائهم العودات في بلدة المغير.

٥ - الصياحين: وينسبون الى صياح بن ناصر بن محمد، واستقروا بجانب اقربائهم القبلان والعودات في بلدة المغير، وهم اقرب الفروع الى فرع ارشيدات، فالشيخ رشيد هو الاخ الوحيد للشيخ صياح.

وهناك عشيرة في حلب وضواحيها يطلق عليها (الرشيدات) وهم فرع من قبيلة (لهيب) ويقولون ان جدهم هو الشيخ محمد بن لهيب، اي جد (رشيد) مؤسس عشيرة إرشيدات في اربد وان أصلهم من الحجاز جاءوا منها الى مدينة نابلس ومنهم من استقر في الشمال الاردني ومنهم من هاجروا الى ضواحي حلب، وجدهم هو رشيد بن ناصر بن محمد بن لهيب، لكن العلامة روكس بن زائد العزيزي - على الرغم من هذه المعلومات - يقول « ولا نعلم ان كان لعشيرة ارشيدات في اربد صلة بـ (الرشيدات) المقيمين في ضواحي حلب، وهم فرع من لهيب».

ويقول الدكتور نبيه ارشيدات في مذكراته (فعائلة الرشيدات من بين العشائر التي نزحت منذ مئتي عام من الجزيرة العربية من منطقة جبل شمر والتي تفرعت فيما بعد الى خمس قبائل، أرشيدات، الصياحين، القبلان، العودات، الكنعان وكذلك هناك صلة قرابة بعائلة الغرايبة. ولقد هاجرت هذه العشيرة الى جنوب فلسطين ثم الى شمالها واخيرا استقرت في اربد وفي عدد من القرى».

مولده ودراسته:

ولد شفيق ارشيدات في مدينة اربد عام ١٩١٨، ولد ومعه عبق الأرض الاردنية الطبية، بشيحها وحنونها الجميل وعلى أنغام ولحن الثورة العربية الكبرى، وجاء الى الحياة ومدينة اربد والشمال الاردني ترقص فرحا وطربا، حيث كانت قوات الجيش العربي الشمالي الفيصلي قد انهت تحرير بلاد الشام، وكان فرسان مدينته يلوحون برايات النصر، وحناجرهم تصدح بلحن «أنت سورية بلادي» وكان الطفل (شفيق) اول من تنشق نسيم الحرية في اربد، وهو لا يعرف ان الذين يلوحون برايات النصر سيكون يوما رفيقا لنضالهم ضد الذين اضاعوا هيبة النصر والفرح .. ولم يعرف، علي خلقي الشرايري، وخلف محمد التل ومحمد جلال القطب، وأحمد التل (أبو صعب)، ومحمود الروسان، وعلي نيازي التل، وأحمد الروسان، ومحمد علي العجلوني، ان هذا الطفل سيكون بعد عشرين عاما شريكا لهم في نضالهم، ورئيسا شرعيا لمسيرتهم النضالية، محاميا ناجحا وسياسيا بارعا لأجل الوطن، ورفعته واستقلاله.

درس شفيق الابتدائية والاعدادية في مدارس اربد، وانتقل الى السلط لدراسة المرحلة الثانوية، وعلى مقاعد الدراسة في اربد والسلط تسيس وتثقف بالفكر القومي العربي، وجاءت ثورة الشعب العربي الفلسطيني عام ١٩٣٦م لتشكل

الحافز النهضوي للشاب المتحفز لنصر الشعب الذي يقاتل من اجل وطنه وحريته، فاشعل السلط بمظاهرة شارك بمسيرتها كل أهل السلط، وكتب البيانات الاحتجاجية والتحريضية، ودعا الى اغلاق المدارس في كل المدن والقرى الاردنية، ووصلت البيانات الى مدارس اربد والكرك لتحرك الشارع الاردني.

يقول في ذلك الدكتور نبيه إرشيدات الذي كان طالبا في مدرسة الكرك. حيث كان والده يشغل وظيفة النائب العام في الكرك، وتوالت الاحداث وكان استشهاد القسام ، الشرارة التي أشعلت ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩م والاضراب الكبير الذي دام ستة أشهر، وهو اطول اضراب من نوعه في التاريخ وكان ابن عمي شفيق ارشيدات، يرسل لي من اربد الى الكرك بيانات ومنشورات تأييد للثورة، وأذكر منها منشورا موقعا باسم (عصبة الدم والحديد)، ونسمع أخبار قادة الثورة ومناضليها التي كانت نموذجا في التضحية.

ويقول الاستاذ الدكتور علي المحافظة في ندوة عقدها ملتقى اربد الثقافي يوم ١٤ كانون الأول ١٩٩٧م، ما يلي: «تفتح عقل الشاب شفيق خليل إرشيدات على الدنيا بانتقاله من مدرسة تجهيز اربد الى مدرسة تجهيز السلط الثانوية، سنة ١٩٣٦والاضراب العام يخيم على فلسطين كلها وينتهي باندلاع الثورة من العام التالي، ولم يجد شفيق ارشيدات ورفاقه بدا من العمل لنصرة فلسطين فألفوا جمعية «الحرية الحمراء» لمساندة الثورة الفلسطينية، وشرعت الجمعية بالعمل، فنادت بحظر التعامل مع اليهود والصهاينة، ومارس اعضاؤها العنف ضد بعض المسؤولين وبعض التجار المتعاملين مع التجار اليهود في فلسطين، مما ادى الى اعتقال بعضهم، وتقديمهم للمحاكمة وحكم عليهم بالسجن ثلاثة اشهر باعتبارهم احداثا والطلاب الذين اودعوا السجن هم: شفيق ارشيدات ووصفي التل، وبدري الملقي وعبد الله اليوسف وادريس الموسى.

وقد تأثر الطالب شفيق ارشيدات باستاذه سعيد الدرة، استاذ التاريخ الذي ما انفك يبعث في طلبته حب إمتهم ويحرك في نفوسهم للمساهمة في النهوض القومي المنشود.

وفي السنة الاخيرة من دراسته في مدرسة تجهيز السلط، اقدم على فعل لم يكن في الحسبان ابدا، وكاد هذا الفعل الجنوني في العمل الثوري، يؤثر على مستقبله الدراسي الجامعي، وربما على شهادته الثانوية، حيث شارك بنسف أنابيب شركة نفط العراق الممتدة من كركوك في العراق الى حيفا في فلسطين عبر الأراضي الاردنية احتجاجا على التدابير القمعية القاسية التي كانت تمارسها بريطانيا ضد الشعب العربي الفلسطيني وتضامنا مع ثوار فلسطين. يقول الدكتور علي محافظة : « وفي عام ١٩٣٨، شارك شفيق إرشيدات بنسف أنابيب شركة نفط العراق الممتدة من كركوك الى حيفا عبر الاراضي الاردنية، والتاريخ الأصح هو يوم ٣١ تشرين الأول ١٩٣٧م، ووجهت تهمة احراق ونسف انابيب البترول الى سليمان السودي، وعساف السليم، وابراهيم التل، وعلي القفطان، خالد الحامد، وراشد الخزاعي ولم يرد اسم الطالب شفيق ارشيدات وكل الذين شاركوا بنسف الانابيب، بل وجهت الى زعماء ووجهاء المنطقة، وكان ابراهيم التل وخالد الحامد يعرفان الشباب الذين قاموا بالعمل، ولما كان الشيخ ابراهيم السودي بدمشق أثناء نسف الأنابيب، فقد اصدرت المحكمة قرار البراءة على المتهمين، ولم يكشف سر هذه العملية الا في عام ١٩٤٧م ولولا كتمان السر من السيدين ابراهيم التل، وخالد الحامد، لما تمكن شفيق إرشيدات من متابعة دراسته بدمشق عام ١٩٣٨م وللحديث بقية في الحلقة القادمة...